

بسم الله الرحمن الرحيم

تطبيقات البنية في تحليل النص السردى العربى المعاصر

المحاضرة الخامسة

تمهيد:

يمكننا الحديث عن العديد من المقاربات البنوية في تحليل النص السردى العربى المعاصر، فمنها اشتغال يمنى العيد على ترابط أفعال الحكاية داخل البنية انطلاقا من وظيفتها، وقد قاربت قصة الجرجوف وهي حكاية مأخوذة من الأدب اليمنى¹، كما درست زاوية الرؤية من خلال التطرق إلى زاوية الرؤية - زاوية النظر، زاوية النظر - الموقع، الراوي عنصر مهيم والحركة حركة تفاوت، اختلاف الأصوات واختلاف المواقع² في كتابها تقنيات السرد الروائى في ضوء المنهج البنوي. كما نشير إلى محمد بوعزة حيث تناولها في تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، وفيه سلط الضوء على عديد مقاربات نذكر منها البنية المكانية من حيث مفهوم المكان ونمذجات مكانية³، والتي من مشمولاتها التقاطبات المكانية، التقاطبات الثقافية، دينامية المكان من حيث أماكن الانتقال والإقامة، أنطولوجية المكان من حيث أمكنة الألفة / الأمكنة المعادية. وأخرى قاربت المتخيل السردى العربى المعاصر من خلال آليات بنية الزمان السردى مع آمنة يوسف⁴ في مدونتها تقنيات السرد فى النظرية والتطبيق، وبنية الزمان عند محمد بوعزة. هذه البنية الزمنية هو ما ستركز عليه هذه المحاضرة الموسومة ب: تطبيقات البنوية فى تحليل النص السردى العربى المعاصر مقارنة سيزا قاسم أنموذجا⁵.

مقاربة البنية الزمنية فى بناء الرواية لسيزا قاسم:

مما نلاحظه على مقارنة سيزا قاسم أن المنهج مرجعيته غربية اتكأت عليه الناقدة لتقييم دراسة مقارنة فى ثلاثية نجيب محفوظ، "وهي تحديد أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين نصوص روائية غربية من خلال الأساليب والتقنيات والمفاهيم المستخدمة، فإنها رجعت إلى النقد

الشكلاني الروسي، والنقد الجديد في أمريكا والمنهج البنائي الفرنسي ، واعتمدت بشكل خاص على أعمال الناقد الفرنسي جيرار جنيت ..، ثم بعض أعمال اللغوي الروسي بوريس ازينسكي⁶ .

في مقاربتها لم تغيب الناقدة المصطلح النقدي واحتفظت له بمرجعياته الغربية أيضا ومن ذلك الاسترجاع / الاستباق / المشهد / الحذف .. فكلها صناعة جرارية خالصة لبنية الزمن .

أول عنصر بدأت سيزا بمقارنته هو البنية الزمنية ، وذلك وفق المنهج البنوي المستمد من تقديرات جيرار جنيت⁷، وقد اشتغلت الناقدة على ثلاثية نجيب محفوظ وهي السكرية وقصر الشوق وبين القصيرين الثلاثية المعروفة .

أصدرت سيزا أحكامها واستعانت في ذلك بالمقارنة التي عولت عليها بين استثمار البنية الزمنية في روايات نجيب محفوظ وبين التقديرات الغربية المتعلقة بالبنية الزمنية مستخلصة أحكاما بين البنية الزمنية عند الواقعيين على سبيل التمثيل من الغربيين ونجيب و محفوظ وما كان من نتائج ترصده على شكل أحكام .

لم تفوت الناقدة فرصة ضرب شواهد على ما ذهبت إليه في مقاربتها من سرديات نجيب محفوظ من ثلاثياته ، وأحيانا تلخص المقطع السردى المستشهد به، وفي أحيان أخرى لا استشهاد .

لم تذكر كل عناصر تأنيث البنية الزمنية ومما ذكرته الاسترجاع الاستباق الحذف المشهد الخلاصة وأهملت عناصر أخرى من عناصر البنية الزمنية كما قدمها جيرار جنيت ، وبهذا الخصوص نقرأ من النقد الموجه لها أن " أثرت الدراسة التجزيئية للزمن على النتائج التي حاولت الناقدة استخلاصها من مقارناتها ، فجاءت كل هذه الاستنتاجات مرتبطة بجزئيات تتفصل الواحدة منها عن الأخرى مما يتعذر معه تحديد الموقع الفعلي لرواية الثلاثية بالنسبة للنصوص التي تقارن معها"⁸ .

-تشكيلات البنية الزمنية في روايات نجيب محفوظ:

أ-الماضي والحاضر والمستقبل:

تبدأ سيزا قاسم المقاربة بتسليط الضوء على الافتتاحية في ثلاثية نجيب محفوظ واعتمدت في ذلك على المقارنة مع رصد النتائج، وأول ملاحظة تبدأ بها هي أن افتتاحية بين القصيرين تختلف عن باقي الروايات كما تختلف عن افتتاحيات الواقعيين، " فالزمن الروائي الذي تشمله افتتاحية بين القصيرين يمثل أربعاً وعشرين ساعة في حياة الأسرة، بدأ بعودة السيد أحمد عبد الجواد إلى منزله، وينتهي بمغادرته بيت زبيدة في المساء التالي، وهذه الوحدة الزمنية وهي اليوم لا تظهر في الرواية الواقعية كوحدة بنائية، ولكنها ظهرت في الرواية الحديثة حيث أن الزمن الروائي أصبح أكثر تركيزاً⁹. وفي تفصيلية للسلسلة الزمنية ماضي حاضر مستقبل تصل سيزا إلى نتيجة أخرى مفادها أن "الأحداث الماضية لا تقدم بطريقة التسلسل الزمني المنتظم ولكن نجد نوعاً من الذبذبة الزمنية حيث أن محفوظ يخلط بين عناصر الحاضر والماضي أو هو يتابع كل شخصية من شخصياته في حياتها اليومية وفي نفس الوقت يدخل في هذه الحياة اليومية العناصر الماضية"¹⁰.

وبتركيز سيزا على الزمن الماضي وجدت أن هذا الماضي يقوم على التكرار وذلك بسبب ارتباطه بأفعال الشخصيات الروتينية والتي لا تتغير، وقد جعلت الناقدة مولدات التكرار ضمن قطبين هامين هما ظرف الزمان والأفعال، فالأول تمثله ليلة بعد أخرى - كل ليلة - عهداً طويلاً - مع الأيام - بمضي الأيام والليالي - موسماً بعد موسم - عادة... إلخ . ونجد الأفعال التي تدل على التكرار " الاستحمام عادة والفتور عادة وطريقة اللباس عادة والخروج والدخول عادة وصعود أمينة إلى السطح والقيام بالأعمال المنزلية وخروج ياسين وعودة كمال من المدرسة ... كل ذلك مكرر لأنه عادة"¹¹.

وعن زمن الماضي في الثلاثية بصفة عامة فهي ترى بأنه زمن ماض قريب، في حين الزمن الماضي البعيد فقد خصه محفوظ للتراكم.

ب-الترتيب الزمني للأحداث:

تنتقل سيزا قاسم في مقاربتها إلى نقطة الترتيب الزمني للأحداث، في روايات نجيب محفوظ ، وتستنتج أن الأزمنة لم تخضع لترتيبها الكلاسيكي من البداية إلى النهاية، بقدر ما وجدت "أن النص الروائي يتذبذب في كل لحظة من لحظاته من الحاضر إلى الماضي إلى

المستقبل¹¹ ، ثم تقيم البرهان من مدونة نجيب محفوظ، حيث تقول: "ويكفي أن نستشهد هنا بنص من بين القصص لنبيين مدى تداخل عناصر الزمن داخل الفقرة الواحدة من النص الروائي: " نكست أمينة رأسها حياء في الظاهر(2) وفي الحق لتواري ابتساماً لم تستطع مغالبتها(3)، حينما ربط ذهنها بين الصورة التي يتخذها ياسين الآن(4)"¹²

ترسم سيزا قاسم مخطط التسلسل الزمني كالاتي: الماضي الذي هو الصورة التي ضبط بها أمس ، الحاضر وهو الصورة الآن نكست أمينة رأسها ، المستقبل لم يغب عن البطل ما سيجره عليه من الأحداث المستقبلية .

تلقت سيزا قاسم إلى تقنيات السرد الأخرى كما اقترحها جيرار جنيت، حيث تتحدث عن الاستباق والاسترجاع في ثلاثية نجيب محفوظ، وأثبتت للاسترجاع: " 1-استرجاع خارجي يعود إلى ما قبل بداية الرواية . 2-استرجاع داخلي : يعود إلى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص . 3-استرجاع مزجي : وهو ما يجمع بين النوعين¹³ .

تفصل في أنواع الاسترجاع مع ضرب الأمثلة من ثلاثية نجيب محفوظ، ومن ذلك الاسترجاع الخارجي من السكرية حيث تضرب مثالا من ذلك من الصفحة السابعة. وقد تصدر أحكاما على ذلك الاسترجاع، ونموذج ذلك قول سيزا "ومثال ذلك في الثلاثية: أن النص يقدم لنا زيارة الأبناء لأمينة وهي في بيت أمها ثم رجوعهم إلى المنزل ثم يلي ذلك في النص عودة إلى حياة الأختين أثناء غيبة أمينة وهي في بيت أمها، ثم يلتحم مستوى القصة الأول مع الاسترجاع ويستمر سيره بعد ذلك، ولكن هذا النوع من الاسترجاع الداخلي قليل في الرواية الواقعية حيث أن الكاتب يلتزم التسلسل الزمني ويضع الحوادث تلو الأخرى على خط التسلسل الزمني لتجنب هذا النوع من الاسترجاع الذي قد ينتج عنه بعض اللبس¹⁴

ج-الإيقاع الزمني:

ومن الآليات التي قاربتها سيزا التلخيص، فهي ترى بأن نجيب محفوظ استخدم تقنية التلخيص "لأداء بعض هذه الوظائف دون غيرها ويأتي هذا الاختلاف نتيجة دخول تيارات جديدة في نسيج الرواية، وقد بينت أن محفوظ قد يلخص سنوات في عدد محدود من الأسطر أو بضع فقرات في حين أن هذا ليس ثابتا بل نجد العكس في الثلاثية وهذا ما

حاولت إثباته سيزا من خلال ما قامت به من عملية إحصائية تقول سيزا: " فعندما ننظر إلى المعالجة النصية في الأجزاء الثلاثة نجد أن بين القصرين تعالج تسعة عشر شهرا في 577 صفحة ، بينما تعالج السكرية تسع سنوات في 395 صفحة¹⁵ وقد حكمت عليه أنه لا يستخدم التلخيص كثيرا في السكرية .

بعد التلخيص اشتغلت الناقدة على الوقفة عند نجيب محفوظ تتبعت سيزا قاسم الوقفة في ثلاثية نجيب محفوظ مع الإشارة أن سيزا مرت على هذه الآلية دون ذكر نماذج بقدر ما صدرت بحكمها بخصوص هذه التقنية ، فهي ترى بأن "المقاطع الوصفية البحتة حيث يتوقف سير الزمن تماما، قليلة بالنسبة إلى الرواية وقصيرة، وهنا يختلف أسلوب نجيب محفوظ عن أسلوب الواقعيين الذين عرفوا بمقاطع الوصف المطولة التي تستغرق عددا كبيرا من الصفحات"¹⁶.

أما تقنية المشهد عند نجيب محفوظ فهو إيقاع زمني بطيء ، انتقل فيه الروائي من العام إلى الخاص ، وكان نجيب محفوظ حكمها " يفضل الدخول إلى المشهد دون مقدمات كما أسلفنا، وإذا استخدم التلخيص فإنه يأتي قصيرا بالنسبة إلى المشهد"¹⁷ . شفت سيزا أحكامها وملاحظاتها بأمثلة عن المشهد العام والخاص، ومن ذلك "التلخيص العام: ذهاب الرجال الثلاثة إلى المسجد لتأدية الصلاة يوم الجمعة ثم انضمام كمال إليهم عند بلوغه العاشرة وموقف كل منهم من تأدية الفريضة (بين القصرين 471- 475) . المشهد يبدأ بتوجيه الرجال الثلاثة وكمال إلى المسجد في ذات يوم ووصفهم أثناء قيامهم بتأدية الصلاة (473- 475) . المشهد يصل إلى ذروته عند تهجم الشباب على ياسين واتهامه بالجاسوسية (475-480)¹⁸ .

خاتمة:

وهكذا تحاول سيزا قاسم في مقاربتها لثلاثية نجيب محفوظ السكرية، بين القصرين، وقصر الشوق أن تستفيد من الآليات الإجرائية للبنية الزمنية حسب ما تقدم به الطرح البنوي الغربي، وقد خرجت بملاحظات ونتائج وأحكام تخص البنية الزمنية في ثلاثية نجيب محفوظ مع ضرب الأمثلة لما ذهبت إليه.